العرب في النصف الثاني من القرن العشرين

كان النصف الاول المنصرم من هذا القرن سخياً جداً بالنسبة إلى العرب ، او قل سخياً اكثر مما يستحقون إذا مـــا نظرنا الى جهادهم القومي طوال هذه الفترة من الزمن . وإذا كانوا قد قاسوا بعض الويلات فان النعم التي انعمت عليهم لأكثر وأعظم . فما من محنةٍ حلت بهم إلا وكان في طيها منحة ، وما عبس في وجههم يوم إلا وابتسم لهم آخر ، إلى أن فاجأهم الدهر ببسمةٍ أيما بسمة فنالوا استقلالهم السياسي في أكثر اقطارهم على أهون سبب ، وعلى حساب حرب عالمية أنهكت العالم باسره تقريباً إلا هم ، وواكبتهم ظروف اخرى مؤاتية لا تأتي في حياة الشعوب إلا مرة في الف سنة .

واليوم يقف العرب على عتبة النصف الثاني من هذا القرن وقفة الحذر والحيرة والارتباك . فالنعم التي أسبغت عليهم في أثناء السنين الخمسين الغابرة مهددة بالزوال وبسمة الدهر التي حملت اليهم الاستقلال تكاد أن تتلاشى . فقد مني العرب في العقد الأخير من السنين بالفشل تلو الفشل ، ومزقت الحوادث حجاب القوة الوهمية الذي نسجوا لحمته من اسطورة الخمسين مليون عربي وسداه من اسطورة الرأي

العام الاسلامي ، فبدا ضعفهم واضحاً بعد ان كان خفياً عن أعين الناس، فاستنسرت الزرازير واستأسدت الثعالب، وأضحى الكيان العربي نفسه معرضاً للتداعي والزوال . فالدول العربيـــة لأعجز من أن تدافع عن نفسها ضد أي طارئٍ عسكري أو سياسي ما دامت ممزقة كما هي الحال . وقد جاء اجتماع الجامعة العربية الاخير دليلاً صادقاً على عدم وجود التفاهم والاتفاق بين دولها إلا في مسألة واحدة وهي اتفاقها على الاختلاف . وستنهار هـــذه الدول كلها وتتساقط كأوراق الخريف عند هبوب اول ريح دولية تعصف بالتوازن القلق القائم اليوم في الشرق العربي . ولن يقوى العرب على الاحتفاظ بكيانهم واستقلالهم في النصف الثاني من هذا القرن إلا إذا سلكوا طريق التكتل والاتحاد . وقد سبق لي أن بيّنت قبل أن اكفهرت سماء العرب بالغيوم في خطاب القيته في تموز من عام ١٩٤٦ ان العرب يقفون على مفترق الطريق ، يعرجون بين التفتت والتكتل ، بين الاقليمية والاتحاد ، وان طريق الاقليمية تؤدي الى بلقان عربي، بينما تنتهي طريق الاتحاد الى ولايات متحدة عربية على مثال الولايات المتحدة الاميركية،أو ، على الأقل ، إلى جماعة الدول العربية على غرار جماعة الدول البريطانية،وهي ما تعرف بالكومنوالث . وإذا كان منطق الحوادث والأحوال الدوليـــة الذي يدفع بالعرب الى سلوك طريق التكتل ملحاً في عام ١٩٤٦، فهو الآن أشد إلحاحاً . فقد كان العرب آنذاك يُصفّون علاقاتهم بالانتداب بعد أن رفع كابوسه ، ويحاولون ان يتلافوا استمراره في شكل معاهدات مفروضة . أما الدوم فهم يجابهون عـلاوة على

هذا الخطر الملموس ، خطر الشيوعية وخطر التوسع الاسرائيلي ، وهذا الخطر الأخير ، الجاثم في قلب البلاد يفصل بين العرب في الهلال الخصيب والعرب في وادي النيل ويقطع الطريق التجارية في البحر المتوسط عن النهضة الصناعية التي تتفتح براعمها في مختلف الأقطار العربية — هذه البلدان التي تقف الآن على عتبة حياة اقتصادية جديدة. والبحر المتوسط كان بحر العرب بقدر ما كان بحر الروم ، ويجب ان يعود كذلك إذا كان للتجارة العربية ان تزدهر وتعيش . وقد يصبح بحراً اسرائيلياً إذا لم يتلاف العربُ ذلك .

ولو اقتصرت الحال على هذه الاخطار الثلاثة لهان الأمر . غير ان الخطر الأعظم هو غير هذه الاخطار على الرغم من انه مرتبطٌ بها رباطاً وثيقاً . فالعربُ اليوم ، بحكم مركز بلادهم الجغرافي ، بين حجري رحى يكادان ان يُطبقا عليهم ؛ وبلادُهم ، أرادوا ذلك او لم يريدوا ، تكوّن الحد الفاصل بين دول القوى البرية التي تسيطر عليها الروسيا ودولِ القوى البحرية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الاميركية . وقد يستحيل هذا الحد الفاصل ، من دون ان يكون للعرب في ذلك قولٌ أو رأي ، إلى مركز دفاعي يوطد فيه هذا الفريق او ذلك دفاعه ضد الآخر ، ومركز هجومي يشن منه هذا الفريق أو ذاك هجومه على الآخر .

ليست هذه الاخطار بخافيةٍ على أولي الأمر . وقد كثر في الآونة الاخيرة الكلام فيها في العواصم العربية ، وليست هي بخافية على الشعب ، وقد خصصت لها الصحافة قسماً وافراً من أعمدتها ،

ويكاد الاجماع على فداحتها ان يكون تاماً ، اما الاجمـــاع على الطرق التي يجب ان تتبع لتلافي هذه الاخطار أو لمجابهتها إذا مـا داهمت فلا وجود له . ولا يتعدى التفكيرُ العربي الرسمي في هذا الصدد الاقليمية الضيقة التي لا يتجاوز افقها السياسي حدود السيادة الوطنية مع ان « السيادة الوطنية ضربٌ من التدجيل والضحـك على النفس إذا لم ترتكز الى دعامةٍ اسمها السلامة الوطنية ». وأفدح من ذلك تدجيلاً وضحكا على النفس ان يظن العرب ان في استطاعة اية دولة من الدول العربيـــة في الوقت الحاضر ان تأمن لنفسها السلامة الوطنية في وجه التوسع الاسرائيلي ، مثـــلاً ، منفردة . فالعالم العربي اليوم على مفترق الطريق بين الاتحاد القائم على الاسس الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والذي يؤدي حتما الى الحيـاة والقوة والسيادة والسلامة ، وبين الاقليمية التي تنتهي حـــتما الى الضعف والفناء .

فمن الضروري إذن ان نبحث موضوع الاتحـــاد من اساسه ونعين عوامله المؤاتية وهي عوامل التوحيد ، وعوامل المقاومة ، وهي عوامل التفريق . ولن اتعرض في هذا المقـــام الى أيٍ من الاقتراحات والمشاريع الاتحادية التي قُدمت الى الجامعة العربية في دورتها الاخيرة بل أحاول ان أُعدّد هذه العوامل ، الموحدة منها والمفرقة ، وأصفها بايجاز حتى يستطيع العرب ان يختاروا لأنفسهم الهدف على اساس العلم والعقل والمصلحة العامة . ولن اتخـذ اليوم صفة الداعي مع انني أؤمن عن علم ان كل تكتلٍ ثنائيـاً كان ام

ثلاثياً أم شاملاً هو في صالح العرب وصالح قضيتهم .

فلنبدأ بعوامل التوحيد في العالم العربي . فالفعالة منها اليوم خمسة وهي : اللغة والتاريخ والدين والعقلية ووطأة العوامل الجديدة ــ الداخلية منها والخارجية .

اللغة : ما هي اللغة ؟ أهي سلسلة ينطق بها الانسان للتعبير عن حاجاته ، أم هي وسيلة لبيان المعاني واحكامها واحياناً لابهامها واشكالها ، أم هي خزانة لتراث الشعب وثقافته ، أم ديوان لأشعاره وآدابه ، أم مرآة لأمانيه وآماله ، أم سجل لا يمحى ولا يزول لمدنيته وآثاره ، أم مفتاح لأفكاره واعماله قبل التاريخ ؟ هي هذه كلها وأكثر . هي جزء من كيان الشعب الروحي . هي رمز وحدته الروحية وركنها الأعظم .

كانت هذه اللغة ولا تزال اعظم العوامل الفعالة في توحيد العرب وأبعدها أثراً في جمع شملهم . وهي العامل المشترك بين جميع الاقطار العربية على اختلاف اللهجات . يفهم العربي في الجزيرة والبادية والعراق وسورية ولبنان وفلسطين والاردن واليمن ومصر وبرقة وليبيا والقسم الحضري من المغرب الأقصى تعابيرها ويطرب لشعرها وأمثالها وجوامع كلمها ويناجي ربه بها ويتغزل بحبيبه بها ويشتم اعداءه بها ويقسم ايمانه بها ويحلم أحلامه بها . هي أوّل ما يسمع عندما يدخل هذه الحياة ويوضع مقمطاً في مهده ، وآخر ما يتلى فوق جثمانه عندما يمدّد مكفناً

في لحده . بها هدمتُ حواجز الحـــذر ورفعتُ حجب الشك التي اعترضتني في وهرانَ والجزائر ، وبها تمكنت من ان أتسرب الى قلوب الاخوان في الخرطـوم وام درمان وأنعم بصداقتهم في لحظة عين . بها أكشف للعراقي عن آمالي وآلامي ، وبهـا يشرح لي أمانيه ومآسيه . ومهما يختلف العربي عن اخيه العربي من حيث المستوى الاجتماعي والثقافي ومن حيث البيئة الجغرافية والدينية ، يترنح طرباً ، لا بل نشوة ، لتلاوة القرآن أو انشاد الاشـعار او استعمال جوامع الكلم او الامثال .

هذه الرابطة الحية آخذةٌ بالنمو من يوم إلى يوم لازدياد عـدد المدارس وانتشار الجرائد والمجـلات ولغزو الراديو معظم مرافق الحياة العربية ولنمو شبكة المواصلات بين الأقطار العربية بعضها مع بعض من جهة وبين أطراف القطر الواحد من جهـة اخرى . فالاتجاه الآن هو نحو لغة واحـــدة مبسطة موحَدة (بفتح الحاء المهملة) موحِدة (بكسر الحاء المهملة) تذوب فيها جميع اللهجات فيختفي عامل من اكبر عوامل التفريق .

التاريخ : وثاني عوامل التوحيد الفعالة التاريخ — بحوادثـه ورجاله وابطاله — بانتصار الشعب وانكساره ، بافراحه وأتراحه ، بسرائه وضرائه ، بالخير الذي نعمَ به والشر الذي عمه ، بذكرياته وتقاليده وعاداته ، بروایاته وأساطيره وقصصه وخرافاته ، وما يثير في نفوس الشعب من عواطف وأشجان وأفراح وأحزان ، ومـا يبعث فيها من روح وثابة ويدفعها إلى الامام .

وللمحن والمآسي أثرٌ بعيد في توحيـــد الصفوف وجمع الكلمة واستفزاز الهمم . وحسبي الاشارة الى التاريخ الايطالي في القسم الثاني من القرن التاسع عشر ، والى تاريخ الشعب الالماني بعـد الحرب العالمية الاولى ، والى تاريخ ايرلنـــدة . ورب قائل : ألم تسمع بالنكبة الكبرى والمحنة العظمى ؟ ألم تسمع بفلسطين ومآسيها — بدير ياسين وحيفا وعكا والرملة واللد وصفد والفالوجة ؟ ألم ترَ اللاجئين وهم لا يزالون حتى هذه الدقيقة يفترشون الغبار صيفـــاً والأوحال شتاء ويلتحفون السماء ويبيتون على الطوى — يكاد حبل أملهم ان ينقطع ونور رجائهم ان يخبو وإرادتهم للحياة ان تنعـدم في حين ينعمُ من كتبت عليهم الذلة ببيوتهم وأملاكهم ويتخذون من نسائهم اماء ومن بناتهم جوارٍ؟ فلم لا نرى للمحن والمآسي لدى العرب الأثر الذي نراه لها لدى الشعوب الأخرى ؟ والجواب على هـذا السؤال هو أن العرب لم يتألموا كثيراً بعد . وسيظهر أثرُ المحن والمآسي فيهم عندما تكمل ويلاتهم ويصفي الألم قلوبهم من الدغل والفساد . عندئذ ، وعندئذ فقط ، سيولدون قومياً ولادةً ثانيةً .

ويشتمل التاريخ على اسماء الرجال والمعارك وما يستفز الهمم من سيرٍ وأيامٍ مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعليّ ومعاوية والمأمون وصلاح الدين واليرموك وحطين . ويشمل أيضاً ميراث الشعب العلمي والفكري وأسماء اعلامه وعلمائه أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والمعري والغزالي وابن رشد وابن

خلدون واليازجي الاب والابن والبستاني والشدياق والريحاني ، وغيرهم مئات .

الدين : وثالث عوامل التوحيد الفعالة هو الدين إذا ما بقي ديناً ولم يمسخ الى سياسة او طائفية . فالدين الذي تـَظهر ثماره في علاقة الانسان بالخالق وعلاقة الانسان باخيه الانسان فيقيم وزناً لقيمة الفرد وكرامته يعزز روابط الاخوة ويقرب بين الافراد حتى ولو اختلفوا في شعائر الدين وطقوس العبادة . أما اذا مسخ الى سياسة او طائفية استحال الى مصلحة من المصالح الدنيوية ، واصبح أداة للتفريق . وما من دين سخر للسياسة الا وانقلب على نفسه بلية وجلب على أتباعه الوبال .

ان سواد العرب الاعظم يدينون بالاسلام . وعلى الرغم من ان الدولة الاسلامية والاسلام لم يكونا مرادفين من يوم الفتنة الكبرى في أيام عثمان بن عفان ، وعلى الرغم من ان العروبة والاسلام لم يكونا يوماً مسميين لشيء واحد ، بل كان الاسلام اوسع واشمل ، فلا يزال الاسلام ، بعد العربية ، اعظم عامل مشترك بين العرب في جميع أقطارهم . ولقد اظهر الاسلام في الماضي من رحابة الصدر وسعة النفس ما يسر للمسلم وغير المسلم أن يعيشا في ظل خلافة واحدة وان يساهما في خلق حضارة لا يزال العالم ينعم ببركاتها . وإذا ما استعرضنا التفكير الاسلامي في العقود الثلاثة الاخيرة من السنين ومحاولات الأكثرية الاسلامية في العالم العربي للتقرب من اخوانهم غير المسلمين من العرب نرى فيها مدعاةً الى

الطمأنينة الى ان الاسلام ، وهو دين الاكثرية العربية ، لن يكون في المستقبل أداة للتفريق بل للتأليف . وكما ينتظر من الاكثرية ان تكون السابقة الى المبادرة ، ينتظر من الاقلية ، لا بل يتحتم عليهـــا ان تكون السابقة الى اغتنام مثل هـــذه الفرص ، فتمد للأكثرية يد الاخاء من دون تردد او تحفظ . اما اذا أصرّ الفريقان على اقحام الدين في السياسة يستحيل الدين فوراً الى عامل من عوامـــل التفريق ، يقسم المواطنين الى طوائفَ متباعدة لكلٍ منها حياة خاصة تتبلور فيها ، مع الزمن ، عادات وأساليب ومفاهيم ومقاييس تحول دون التفاهم والتعاون ، واحياناً ، لا بل كثيراً ما تؤدي الى التنافر والتنازع [1]

العقلية : ورابع هذه العوامل الفعالة هو العقليـة . فالعربي في جميع انحاء بلاده وأطرافها ينظر الى الامور التافهـة والى الامور المهمة نظرة مماثلة . ولا سبيل الآن الى بحث هذه الناحية بحثـــاً مطولاً لضيق المقام . غير أنه من البديهي ان العربي في عقـائده وآرائه وفي امياله وأهوائه وعوائده وفي أفراحه ومآتمـــه ، وفي مأكله ومشربه ، شبيهٌ بأخيه العربي على الرغم من اختلاف القطر والمذهب . هذه العقلية لم تُخلق من عدم بل كونتها اللغـة وصقلها التاريخ وكيّفتها التقاليـد الموروثة — من دينيةٍ واقتصـــادية واجتماعية وثقافية .

ومن أبرزِ العوامل التي تعمل الآن في سبيل التوحيـــد تلك

---

(١) فايز صائغ ، « الطائفية » (بيروت ١٩٤٧) ص ٨

العوامل الجديدة التي طرأت على البلاد العربية بكاملها في خلال العقدين الاخيرين من السنين . وقد تنقسم هذه الى نوعين : داخلية وخارجية . وقد نعدّد بين العوامل الداخلية هذه : انتشار المدارس ، وازدياد عدد الجرائد والمجلات ، وتقدم المطبعة العربية وازدهار مكتبتها ازدهاراً نسبياً آخذاً بالازدياد ، وتقدم الراديو والاذاعات العربية ، وانتشار السينما العربية ، على علاتها ، وتحسن المواصلات بين الاقطار العربية مجموعة وفي كل قطرٍ على حدة . فقد قرّبت وسائل المواصلات الحديثة بين اطراف البلاد وربطتها بشبكةٍ من الطرق والسكك الحديدية والطرق الجوية ، ناهيك عن مواصلات التلفون والتلغراف واللاسلكي .

ومن هذه العوامل الداخلية المشاريع الاقتصادية الحديثة من مصارف وشركات تتعدى حدود البلد العربي الواحد وتربط الاقطار الشقيقة . والعوامل الاقتصادية هذه قد تكون الآن أعظم عوامل التوحيد المادية الملموسة . ولا بأس من التذكير في هذه المناسبة بأن الاتحاد أو الوحدة السياسية بين الاقطار العربية سيبقيان حلماً لن يتحقق ما لم يسبقهما اتحاد أو وحدة اقتصادية . فالوحدة السياسية المبتغاة هي مظهر من مظاهر الوحدة الاقتصادية ودليلٌ عليها ، ولن يكون لها أثر بدونها . ولعل كل متاعب الجامعة العربية أو جلها تعود الى أن بُناتها ابتدأوا بالسياسة بدلاً من أن يبتدأوا بالاقتصاد والاجتماع ، وستبقى الجامعة العربية حسرة في القلب مالم تقم على الوحدة الاقتصادية الاجتماعية .

وعوامل هذه الوحدة الاقتصادية والاجتماعية وموادها الخام موجودة غير أنها لا تزال مهملة .

اما العوامل الخارجية التي تعمل في توثيق أواصر الاخاء العربي فتتلخص أولاً بالعوامل السياسية التي ناءت على العرب في جميع انحاء بلادهم بكلكلها من محن ومآسٍ واستعمار وخطر استعمار ومعاهدات مفروضة وتنافس الدول على ثروة البلاد الطبيعية ولا سيما النفط وعلى مركزها الستراتيجي ، وقد أشرت الى هذا في بدء كلامي ، كل هذه تدفع بالعرب رويداً وأكيداً الى الاتحاد لمجابهتها ورفع أذاها ودفع خطرها . ولست بغافل ان عدداً ليس بقليل يحاول ان يمثل دور النعامة التي تدفن رأسها في الرمل إذا ضاق بها الأمر ، أو دور القردة الثلاث الذين لا يسمعون شيئاً ولا يرون شيئاً ولا يفوهون بشيء . يعتقد هؤلاء ان العرب يستطيعون ان يقفوا على الحياد حتى تهدأ العاصفة . لقد قلت لهؤلاء في آذار من ١٩٤٨ ان الحياد اسطورة وخرافة لا بل فخ . والحياد للقوي لا للضعيف . ولست بغافلٍ أيضاً عن اسباب هذا الموقف فالعرب ناقمون على الغرب لأسباب لا تنكر . فعلاوة على النكبة الفلسطينية التي تعود في بدئها الى السياسة البريطانية والتي ساعدت على تطورها السذاجة العربية وكتبت خاتمتها الموقتة الجهالة الأميركية ، نجد ان لكل قطر عربي مسائل وحسابات معلقة مع الغرب . على ان أساليب التصفية لن تنال من النجاح شيئاً ما دامت النكاية لولب السياسة العربية الراهنة . ولن يقوى

العرب على تصفية حساباتهم مع الغرب إلا بالتعاون الوثيق والاتحاد . وإذا اتحدوا استطاعوا في آن واحد ان ينالوا افضل الشروط في تلك التصفية وأن يختاروا لأنفسهم السياسة التي يريدونها تجاه الشرق أو الغرب ، والاختيار دلالة على الحياة والقوة والحرية . فمنطق الحوادث ، حتى في موقف العرب من العراك القائم بين ما يسمى الشرق والغرب ، يشير الى الاتحاد ، لا بل يلح به كالطريق الوحيدة الى الحياة والحرية .

ثانياً ــ العوامل الثقافية التي تتعرض لها البلاد وتعمل على نشر مُثل فكرية موحدة بين الشباب المثقف لا تبعد ان تكون الاساس الصالح في بنيان الصرح العربي الجديد . ولن أتوسع في هذا الباب الخطير الآن .

ثالثاً ــ العوامل الاقتصادية التي اخذت تتزايد في الآونة الأخيرة وهي ، وان تكن في الغالب اجنبية ، تدفع البلاد الى التكتل . وأثرها في ربط البلاد العربية بعضها ببعض بعيد جداً . وهذه أنابيب النفط التي تربط الخليج الفارسي بالبحر المتوسط دليل على ما اقول .

جميع هذه العوامل تفعل فعلها في سبيل التوحيد ، غير ان الميدان لم يخل لها ، بل لا يزال ينافسها فيه عدو عنيد يتمثل بالعوامل التي تسعى الى التفريق . وسأكتفي الآن بتعدادها تاركاً بحثها الى مناسبة اخرى .

فأول عوامل التفريق الاقليمية التي تتجلى بالوضع الراهن الذي ارتضته الأقطار العربية بعد ان رسم خريطتها الاجنبي بعد الحرب العالمية الاولى وقسمها (وما اكثر ما قاساه العرب من التقسيم) الى ممالك وجمهوريات منفصلة بعضها عن بعض ، وتلا هذا عقدان من السنين من النير الاجنبي انتهت اخـــيراً بعد كفاح وجهاد باستقلال اكثر هذه الاقطار عن المستعمر . وكان من الطبيعي أن توضع النبرة على الاستقلال . إلا أن هذا الاتجاه الذي اندفعت فيه الاقطار العربية في جهادها ضد المستعمر لم يتوقف بعد ان لُفظ الاجنبي من البلاد ، بل بقي العرب مندفعين فيه بفعل الاستمرار (والاستعمار) حتى أصبح العربي اجنبياً إزاء أخيه العربي . ولست من الذين ينكرون للاستقلال أو يعارضونه . غير أن هذا الاتجاه الذي اندفعت فيه الاقطار العربية يهدد بتعزيز التباعد والتفريق ، وهما ما أراده الاجنبي ولا يزال يريده ، ويحجر العرب في اوضاع قد لا تكون على مرّ الايام في صالح القضية العربية العامة .

ومما يزيد الطين بلة تنافس الأسر المالكة من ناحية وما يرافق ذلك وما يوازيه من تنافس النفوذ الأجنبي . زد على ذلك وجود مشكلة الأقليات العنصرية والطائفية وتعدد الاهداف وانتشار روح الشعوبية الحديثة والعراك الصامت بين فكرة الجامعة العربية والجامعة الاسلامية وتفاوت المستويات الاجتماعيـــة والاقتصادية والثقافية وتعدد القبل الفكرية . ولو توقفت الحال عند هذا الحد لهان الأمر . إلا ان جميع هذه العوامل لا توجد وحيدة بل ترافقها

وتواكبها وتستغلها وكثيراً ما تسيّرها أيادٍ أجنبية .

بمثل هذه الحال يقف العرب اليوم على عتبة النصف الثاني من القرن العشرين . فالاخطار العالمية تكتنفهم والمشاكل الداخلية تمتص قوتهم . وقد يستولي اليأس على العربي عندما يقابل الحال، بما تتطلبه الحال لولا يقين بان العوامل التي تعمل في سبيل الاتحاد هي اكثر عدداً وأبعد أثراً من عوامل التفريق . زد على ذلك ان اكثر عوامل التفريق مصطنعة او طارئة ، ولن تستقر وتسود إلا إذا خلا لها الجو وتركت دون رادع أو حد . وهذا في الحقيقة ما يخشاه كل عربي رافق القضية العربية ولا يزال يتتبع تطورها وسط بابل الأهداف والاهواء . فكثيرون من الذين يؤمنون بان الاتحاد والوحدة هما هدف العربي الوحيد ، ويدركون ان حياة العرب او فناءهم تتوقف على الاتحاد والوحدة لا يعملون في سبيلها ظناً منهم بانهما سيتمان دون جهد وكفاح ، في حين ان دعاة الاقليمية يعملون في سبيل غاياتهم بغيرة وثبات يحسدون عليهما . وقد نجح دعاة الاقليمية بربطها في كل قطر عربي بمصلحة عائلية او اقطاعية او طائفية او اقتصادية ضيقة ، وسخروا لها مخاوف حقيقية واخرى وهمية وختموها بخاتم الجامعة العربية التي تحكم على العلاقات العربية بالجمود ضمن ميثاقها وبالتالي التحجر والموت ، الى ان صارت في نفسها مصلحة لن يتخلى عنها اصحابها مخيرين . فالاوضاع السياسية أينما توجد تشتمل على عاملين او جزءين : اولهما فكرة رئيسية عامة او مجموعة من الفكر الجذابة ، وثانيهما اسلوب عملي لاخراج الفكرة او

الفكر الى حيز الوجود وتنظيمها في وضع سياسي . هذا ما فعله اصحاب الاقليمية في كل قطر عربي. وبديهي ان الفكرة لا تحارب إلا بفكرة احسن منها ، ولا يغلب اسلوب عملي الا باسلوب عملي افضل منه . وواجب العرب اليوم ان يثبتوا باعمالهم ان فكرة الاتحاد والوحدة والاساليب العملية التي ستبتدع لاخراجها الى حيز العمل وتنظيمها هي افضل من فكرة الاقليمية وأساليبها .

ان حياة العرب في النصف الثاني من القرن العشرين مرهونة بالاتحاد . فمن هي الفئة أو النخبة المختارة التي ستحمل لواء هذه الفكرة وتبتدع لها الاساليب العملية حتى تجابه الفكرة الاقليمية وأساليبها ؟

●

لا أريد ان أعين لأي قطر عربي رسالته لأن مثل هذا من صفات الأنبياء لا المؤرخين . غير أنني أستطيع ان أثبت ان الفكرة العربية الحديثة وأسسها الثقافية والأدبية لبنانية المولد والنشأة. اين ابتدأت النهضة العربية الحديثة ؟ اين تبلورت فكرتها؟ أتعرفون البستاني بطرس واليازجي الكبير والصغير والشدياق الأوحد والأسير ؟ ومن أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ولبنان في طليعة البلدان العربية في حمل لواء النهضة العربية الحديثة ولا يزال .

حاولت في ما سبق أن ألتزم الروح العلمية والنزاهة في كل

كلمة . ولست أغالي إذا قلت ان كل كلمة مما سبق تستطيع ان تقف على رجليها العلميتين من دون سندة او عكاز . إلا ان العربي كان ولا يزال حزمة من العواطف . فاسمحوا لي ان أستسلم للعاطفة مرة واحدة . إن الدم اللبناني العربي لا يزال يجري في عروقي على الرغم من جنسيتي الأجنبية . فأبي وأمي وأجدادي إلى تسعة أجيال سقوا لبنان بعرق جباههم وعاشوا وماتوا لبنانيين عرباً . وأنا أريد لوطن آبائي وأجدادي شرف الطليعة في النهضة العربية وحجر الزاوية في صرح وحدتهم .